مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 العدد 02 أكتوبر 2021 ص- ص262-277.

مدينة وهران النشأة و التطور و الدور في العصر الوسيط.

Oran city of origin, development and role.

البشير غانية (*)

مخبر بحث التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، (الجزائر)،

ghania _bachir80 @yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/06/ 01 **تاريخ القبول:** 2021/06/ 08 **تاريخ النشر:** 2021/10/ 09

الملخص: مدينة وهران حاضرة من حواضر المغرب الاوسط الجزائر الحالية ،اكتست اهميتها الحضارية منذ فجر التاريخ من خلال موقعها الساحلي المطل على الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، اذ ساهم ذلك الموقع الجيوسترتيجي في ان تكون حلقة اتصال جغرافي افقية بين المغربين الأدنى و الأقصى وعمودية بين عالم البحر الابيض المتوسط الشمالي وبلاد السودان الغربي ، وقد مكنها كذلك هذا الموقع بأن تكون مصدر تواصل بين المغرب الأوسط و الأندلس الذي تجلى في عدة أشكال مفرزا مدينة فاخرة من مدن المغرب الأوسط عامرة ذات روح أندلسية مغربية ،وما فتئت كذلك أن باتت اليوم عروس البحر الأبيض المتوسط.

الكلمات الدالة: وهران ، المغرب الأوسط، الأندلس، البربر ،بنو مسكين

Abstrac: The city of Oran is present from the present Maghreb metropolises of Algeria. It gained its cultural significance from the dawn of history through its coastal location overlooking the western basin of the Mediterranean. The northern Mediterranean and western Sudan, and this site has also enabled it to be a source of communication between the Central Morocco and Andalusia, which was manifested in several forms as a luxury city from the cities of the Central Maghreb, full of Andalusian Moroccan spirit, and it has been so well that today it is the bride of the White Sea The average.

Keywords: Oran; central maghrib; Andalusia;Berbers; Banu Miskin.

* **المؤلف المرسل.**

1.المقدمة:

مدينة وهران تقع ضمن خليج عرضه واحد و عشرين كيلومتر مربع ،وقد ارتبط اسمها به، تنحصر فلكيا بين خطي العرض 35 و42 درجة شمالا وخطي الطول 30 و38 درجة غربا، وتحيط بالمدينة جبال لا يتجاوز ارتفاعها 579 م، وهي بذلك تقع في منطقة معتدلة على ساحل البحر الأبيض المتوسط. أما موقع المدينة فإنها توجد بين السفوح الشرقية لجبل (مرجاجو) غربا و(الجروف الصخرية) وهضبة (بئر الجير) شرقا المعروفة في العصور الوسطى بجبل هيدور ، والسبخة الكبرى جنوبا، وتحتل وهران موقعا استراتيجيا هاما، فهي تطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة ولا تبعد عن شبه جزيرة إيبيريا كثيرا، إضافة أنها تعتبر منفذا حضاريا هاما، سواء غربا أو شرقا أو شمال. .

هذا وتعتبر مدينة وهران فضلا عن كونها من مدن المغرب الأوسط بساحل البحر الرومي فهي عاصمة إقليمية للغرب الجزائري –حاليا –زاد من أهميتها إشرافها على طرق المواصلات (البرية والبحرية والجوية والحديدية)، وتحكمها في الحركة التجارية بين الداخل (المدن الغربية والجنوبية الغربية) والخارج (أوربا كفرنسا وإسبانيا)، والسؤال المطروح ماهي ظروف نشأة مدينة وهران ثم المراحل التي مرت بعمرانها و حضارتها وكيف ساهمت في تعزيز روابط المغرب الأوسط افقيا و عموديا، وقد ارتأينا أن نعتمد المنهج السردي و الوصفي و التحليل من خلال وضع مقاربات تاريخية وجغرافية للمصادر التاريخية و كتابات الرحالة و الجغرافيين.

2. أصل تسمية وهران:

ورد في كتاب يوسف الزياني " دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران" كانت النواة الأولى للمدينة تقع على الضفة اليسرى لوادي (رأس العين) وتدعى قرية (إيفري) ،وكان سكانها ينتمون إلى قبيلتي (مغراوة) و(نفزاوة) البربريتين، ولكن التاريخ لا يذكر شيئا عنها وعن حركة القبيلتين ولا عن موطنهما الأصلي، لكن الثابت تاريخيا أن وهران بنيت في القرن الثالث الهجري، ولقد ظهر اختلاف كبير في تسمية وهران:منها ما هو منطقي ،ومنها ماهو قريب من الحقيقة ومنها ماهو خرافي ، وسنورد كل الروايات كل على حدى:

أولا :كلمة وهران مأخوذة من كلمتي "واه" و "رانا"قيل: "أن (بني يفرق) عندما أرادوا غزوها لم يستطيعوا التعرف على مكانها، وعثروا على رجل من أهلها فسألوه عنها فرفض أن يرشدهم إليها وشددوا عليه فصوب عصاه نحوها، وقالوا له: هي صوب عصاك هذه؟ فقال لهم: واه. ثم سمعوا شخصا آخر يقول: رانا. فقصدوه وعثروا على المدينة وسلبوا أهلها وسبَوهم وقالوا: هذه غنيمة (واه رانا)" هذه رواية هي خرافة أقرب منها الى التصديق(1)

وقيل: أن كلمة وهران جمع ومفردها: (أهرى) بمعنى (مخزن أو مستودع).

وقيل: بأن وِهران بكسر الواو كلمة بربرية تتكون مشتقاتها من عدة معاني: (وَ) معناه: مكان في، (هر) مرادف (أهر) ومعناها الأسد، (آن) هي علامة جمع؛ وخلاصة القول أن وهران عرين الأسد أي مخزنه ومكانه.

وهناك رأي آخر: يذهب إلى أن وهران كلمة بربرية، ومعناها في لغة قبائل الزناتة: الثعلب.

ويذهب آخرون: بان (وِهران) مثنى (وِهر) بمعنى الأسد، وهذا الذي يمكن الاعتماد عليه باعتبار أن وهران كان يعيش بها الأسد، كما يوجد بها جبل الأسود، وهناك من الرحالة المسلمين من يشير إلى وجود الأسد بضواحي وهران.

كثيرا ما تحيط بنشأة المدن و بتسميتها أساطير شعبية، تعمّر في تواتر عجيب. منها الطرفة المتعلّقة باسم وهران(2).

فـ"وهران" في لغة زناتة تعني الثعلب لما اشتهر عليه من حيلة و مراوغة(3): ولما شرع رجال مغراوة في حفر أساسها عثروا على ثعلب في غار فقالوا هذه مدينة "وهران".

وأورد يحي بوعزيز رأيا لِـ جورج سيقي (Gorges Séguy) نقله عن ليون في(Henri-Léon Fey) مفاده أنّ اقتباس اسم وهران كان من اسم أحد الأمراء الفاطميين وهو بوشارام وهام وِهران(Boucharam Ouaham Wehran) ، ورأيا آخر مفاده أنّ الاسم مأخوذ من اسم المجرى المائي المنحدر من جبل المايدة (مرجاجو) و هذا اعتمادا على رواية شاو الأنجليزي (4)

كما أورد محمّد بن عبد الكريم قولا نسبه إلى" مؤرّخين إفرنج مفاده أنّ لفظة وهران معناها المكان الصعب المنال (lieu d'accès difficile) ،و لهذا السبب سمّيت المدينة ب « وهران» ،و قالوا: انّ لفظة « وهران » عربية صميمة، و هي مشتقّة من لفظة « وعر» و قال آخر منهم: ان لفظة «وهران» مأخوذة من لفظة «هوّارة» التي كانت تسكن مدينة « وهران »[5]،وفي سياق الكلام نفسه يبطل محمّد بن عبد الكريم القولين بدعوى بعد اشتقاق لفظة « وهران » من لفظة « وعر» لفظا ومعنى؛ ويستمرّ فيقول "فاللفظ ظاهر والمعنى أنّ كلمة «الوهران » تدلّ – في اللغة العربية– على الرجل الخائف"، و ترد لفظة الوهرة – في اللغة العربية– بمعنى الوقعة في ما لا مخرج منه و هو يقارب لبس الإفرنج كلمة « وهران » إياه من معنى، أما النسبة إلى هوارة* فباطلة لأن القبيلة سكنت المدينة بعد بنائها بأمد بعيد، على حدّ تعبير بن عبد الكريم نفسه[6].

اِنطلاقا من أنّنا ننشد التعريف بالمدينة – من الجوانب المختلفة – لكن في الخطوط العريضة، فإنّنا لن نسجّل تاريخ المدينة بالتفاصيل التي يطالب بها الباحث في التاريخ.

3. تأسيس مدينة وهران و إسهام الأندلسيون في تشييدها :

تعتبر مدينة وهران إحدى المدن القديمة، ويعتبر واد (راس العين) منطقة استقرار بشري قديمة، قدم الإنسان الحجري الذي عاش فيها منذ عصر ما قبل التاريخ، وهذا ما أكدته البحوث العلمية التي أجريت على المغارات والكهوف الموجودة بها: ضواحي (أكميل) وحي (سي صالح)، وعدة مغارات أخرى مصنفة وطنيا[7]، كما يوجد بها عدة محطّات على الساحل الشرقي لمدينة وهران، خاصة بدوّار)[8].

وفي العهد الفينيقي كان يطل عليها اسم الصغير تمييزا عن المرسى الكبير أما في العهد الروماني، فلقد احتلت وهران مكانة هامة خاصة ميناؤها (المرسى الكبير) والذي كان يسمى (بالميناء الإلهي) وكانت وهران تسمى بـ(كيزا)، ولا يذكر التاريخ القديم شيئا هاما عن مدينة (كيزا) ما عدى ميناءها الذي احتل مكانة هامة[9].

أما في العصور الوسطى قد قال مؤلف كتاب الإستبصار (ق 6هـ) : "بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى، بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين لها، فسكنوها مع قبائل البربر يقال لهم بني مسكين نحو سبعة أعوام"[10].

كان الغرض الرئيس وراء تأسيس المدينة اقتصاديا، فقد كانت امتدادا للدولة الأموية في الأندلس، امتدادا وصل إلى أقاصي الصحراء[11] و مددا لها بالخيرات المتنوّعة؛ و يلخّص لنا ابن حوقل هذه المكانة في كتابه "صورة الأرض" بقوله: "... وهي فرضة الأندلس، إليها ترد السلع، و منها يحملون الغلال..."[12] .

وفي سياق آخر يقول : تنس ومنها الى وهران مراس لا مدن لها مشهورة كمرسى عطا وليس به أحد يسكنه وقصر الفلوس(يذكره الحموي بالمدينة الصغيرة) وإن كانت مدينة محدثة فلها سور وهى لطيفة جدّا وسورها من تراب طابية وماؤها من عين ماء جارية بها ، ولمدينة وهران مرسى فى غاية السلامة والصون من كلّ ريح وما أظنّ له مثلا في جميع[13].

ويعزز صاحب كتاب الاستبصار كلامه عن اهمية الدافع الاقتصادي في تأسيسها فيقول : "هي مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى..."[14].

وبداية من ذلك التاريخ صار لمدينة وهران علاقات متينة مع العدوة الأندلسية، إذ كانت بحكم موقعها الجغرافي "تقابل مدينة المرية من ساحل بحر الأندلس"، وقربها منها، إذ "سعة البحر بينهما مجريان" توفر الجزء الأعظم من المواد الغذائية التي يحتاجها سكان سواحل العدوة الأندلسية "ومنها أكثر ميرة ساحل الأندلس"، كما كان لمينائها دور هام في الاتصالات والمبادلات بين ضفتي البحر المتوسط، نظرا لأن "لها على بابها مرسى صغير لا يستر شيئا، ولها على ميلين منها المرسى الكبير، وبه ترسو المراكب الكبار والسفن السفرية، وهذا المرسى يستر من الريح وليس له مثيل في مراسي حائط البحر من بلاد البربر"[15].

وبخصوص مؤسسيها الأوائل فقد ورد ذكر قبيلة مغراوة [16] كأول من ساهم في بنائها ،وهم عمال أمراء الأندلس الأمويين أي اتباعهم كون من اخوال عبد الرحمان الداخل ، والذي شيّدها خرز بن حفص صولات، وكان المخطِّط لها و في هذا يقول صاحب كتاب التحفة

المرضية "بناها وأسَّسها ومدَّ نها وحرسها ,هو المغراوي خزر بن حفص بن صولا بن وزمار بن صقلاب بن مغراو بن يصلين بن مسروق بن زاكين بن ورسيخ بن جانا بن زنات،في عام اثنين وتسعين وقيل إحدى وتسعين من القرن الثالث من الهجرة ,وهذا القول الأخير هو الأصح" ، والذي أمر ببنائها هو الخليفة الأموي بالأندلس (أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان[17]، ولقد شُيّدت وهران قبل وفاته بعشرة أعوام، أي في سنة 290هـ/ 903معلى أكثر تقدير.

ويقترن اسم قبيلة مغراوة باسم طائفة من الاندلسيين و على رأسهم محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من البحارة الأندلسيين مع قبائل النفزة وبني مزغن[18] .

وفي هذا الصدد يذكر البكري ان ا أصحاب القرشي أي الخليفة الاموي بالأندلس في اشارة الى الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان قاموا سنة تسعين ومائتين، فاستوطنوها سبعة أعوام، وفي سنة سبع وتسعين ومائتين زحفت قبائل كثيرة إلى وهران يطالبون أهلها بإسلام بني مسقن إليهم لدماء كانت بينهم، فأبى أهل وهران من إسلامهم إليهم فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم ومنعوهم الماء[19].

فخرج عنهم بنو مسقن ليلا هاربين واستجاروا بأزداجة فحموهم [5] هزموا أهل مدينة وهران وخرجوا عنها مسلّمين في أنفسهم وأسلموا ذخائرهم وأموالهم، وخربت وهران وأضرمت نارا، وذلك في ذي الحجّة من هذه السنة، ثمّ عاد أهل وهران إليها في السنة بعدها، سنة 298هـ بحماية من أبي حميد دوّاس بن صولات- ويقال داود- عامل تيهرت، وجددوا بنيانها في شعبان من نفس السنة، فعادت أحسن ممّا كانت وولّي عليهم داود[20].

4. دور الأندلسيين في تأسيسها:

يتّفق المؤرّخون على أن أبي محمّد عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الدّاخل الأموي[21] كان مؤسّسا لها، وكذا يحذو في هذا الاتجاه عبيد البكري إذ يقول: "وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن وهم من أزداجة، " [22] ،

ويفهم من هذا القول ان عهد تأسيس مدينة وهران ارتبط بزمن عبد الرحمن الداخل مؤسس الامارة الاموية بالأندلس ، فلا غرابة انه عقد تفاهم مع أخواله من قبيلة نفزة البربرية توج بتوطن بشري لأهل الاندلس بخليج وهران على انها موضع مناسب للاستقرار البشري

وعلى كل حال فقد حصل تراكم بشري من البحّارة الأندلسيين بقيادة محمّد بن أبي عون ومحمّد بن عبدون كانوا ينتجعون مرسى[ما سيصبح] وهران أيام حكم الأمويين بالأندلس ،و باتفاق مع قبيلتي " نفزة" و"مسقن [23]"، فأقاموا المدينة في السنة 290 هـ/ 903 م على أكثر الاقوال ترجيحا .

في هذه الأثناء كان القائد خزر إلى جانب محمد بن عون و محمد بن أبي عبدون – أنشط العباد في عمارة البلاد حتى نسب إليه شأن إقامة المدينة وقد نسبها إليه فعلا الشاعر ابن خميس التلمساني لدى زيارته في القرن الرابع الهجري (10 م) حيث أبدى إعجابه بمدينتين في المغرب وهران خزر وجزائر بلكّين[24].

5. توسع مدينة وهران عمرانيا:

ركز معظم الرحالة والجغرافيين المسلمين كتاباتهم عن الجانب العمراني لوهران، فأول من وصف وهران عمرانيا هو ابن حوقل، ووصفها البكري وقال بأنها مدينة حصينة، ووصفها الإدريسي فقال " وهران على مقربة من ضفة البحر الملح. وعليها سور تراب متقن،و بها أسواق مقدّرة و صنائع كثيرة و تجارات نافعة، و هي تقابل ألمرية من ساحل برّ الأندلس وسعة البحر بينهما مجريان، و منه أكثر ميرة ساحل جزيرة الأندلس، و لها على بابها مرسى صغير. لا يستر شيئا "[25]، ووصفها ليون الإفريقي فقال: "وهران مدينة كبيرة، تحتوي زهاء 6 آلاف موقد...، وبها مؤسسات وبنايات، وتتميز بطابع المدينة المتحضرة، وذلك لما تشمله من مساجد ومدارس ومستشفيات وحمامات وفنادق ذات أسوار عالية." وقال أحمد ابن سحنون الراشدي: "قد حماها البحر من شمالها وأحاطت حصونها بيمينها وشمالها وأحاطت بها الخنادق إحاطة المناطق، ودارت عليها الأسوار دوران السوار"، ويصف بعض الرحالة الطرق والفجاج المؤدية إليها، ويحصي المسافة والموقع عن بعض المدن المعروفة وقتذاك مثل تلمسان وغيرها...

وتشير نفس المصادر أن سكان وهران أناس طيبون، وكرماء وظرفاء، يحبون الغريب، ويجيرون من استجارهم، ولهم عزة نفس وأنفة، وكانوا يتمتعون بحرية تامة في اختيار رئيس مجلسهم المكلف في النظر في قضاياهم المدنية والجنائية، فلقد كانوا يعيشون في استقلال عن ملوك تلمسان يوم كانت وهران تحت سلطتهم، ولم تشر تلك المصادر إلى أي نوع من الصراع الاثني او القبلي سواء تعلق بين العرب والبربر أو بين السكان الأصليين وبين القادمين من الأندلس[26].

6. مزروعات وهران و علاقتها التجارية بالأندلس:

يذكر أغلب الرحالة والجغرافيين المسلمين كالحميري ،والمزاري، ابن حوقل أن مدينة وهران مدينة فلاحية، وبها سهول خصبة وأراضي شاسعة، وبها مياه وعيون سائحة، ومن خلال الوصف يتضح بأنه كان لوهران إنتاج وفير من المنتوجات الزراعية، وكان في الغالب يصدر للدول المجاورة، كما كانت هناك منتوجات أخرى كالعسل والسمن واللحم بسبب تربية الأبقار والغنم؛ في حين يصفها ليون الإفريقي بأنها "لم تعرف وهران الرخاء، فلقد كان مأكل السكان من خبز الشعير"،

ويقول ابن حوقل عن أهل وهران :"...وغلّاتهم من القمح والشعير والمواشي عندهم كثيرة... وماؤها من خارجها جار عليها فى واد عليه بساتين وأجنّة كثيرة فيها من جميع الفواكه وفى حاضرتها دهقنة .....وهى فرضة الاندلس اليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال]"[27].

تعتبر مدينة وهران نقطة اتصال بين المغربين الأوسط والأقصى، من حيث الموقع، كما تتمتع بطرق برية هامة بين الشمال والجنوب وزادها المرسى الكبير أهمية بحيث جعلها على اتصال بالعالم الخارجي المسيحي، فكانت وهران مركزا تجاريا هاما بالنسبة للأوربيين الكاتالونيين والجنويين، كما كان التجار يجهزون سفنا تجارية وأخرى حربية قصد القرصنة. وقد وصف أكثر الرحالة والجغرافيين) كياقوت الحموي والحميري وليون الإفريقي والمازري) أهلَ وهران بأنهم تجار، والذي جعل من وهران مدينة تجارية هامة هو الميناء من جهة وطيبة سكانها وحبهم للغريب من جهة أخرى وتطور مدينة وهران في الميدان الاقتصاد والعمراني[28].

« أمّا ابن حوقل الذي أتمّ مؤلّفه في تلك السنة (يزيد 376 هـ /986-987 م)، فيصف وهران كالتالي: " إنّ ميناء وهران جدّ آمن و محميّ من الرياح حتى لأنّي متأكّد ألاّ وجود لمنافس له في بلاد البربر، يحيط المدينة صور و يسقيها جدول آت من خارجها: حافتا الوادي حيث يسري هذا الجدول مكلّلتان ببساتين يعطي كلّ أنواع الفواكه، يتمتع الرّبفيّون الذين يسكنون الضّاحية بمهارة في فلاحة الأرض، إلاّ أنّهم متحفّظون حيال الأجانب، في ميناء وهران تتمّ التجارة مع الأندلس؛ تأتي السفن محمّلة بالسلع و تعود مشحونة بالقمح، أغلب البربر القاطنين السهول المحيطة بالمدينة ينتمون إلى قبيلة يزّاجة (أو أزّاجة) و هم الآن تحت مراقبة زيري بن منّاد. » [29] ، ويقول كذلك "...وهي فرضة الاندلس اليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال]... "[30].

من أجل مكانها و مكانتها، لعبت وهران دورا خطيرا في حياة الدول التي تعاورت منطقة الغرب الاسلامي، و بفعل الإقليم المروي بالماء الفرات الوفير الذي كان « واد الرحي[31]– راس العين» ينحدر سيلا شرشرا على الساكنة و مياه البحر التي كانت تربت أقدام المدينة و جوانبها، عرفت وهران عصورا ذهبية و أخرى قاتمة. توسعت وازدهر عمرانها و راجت التجارة داخل أصوارها، و لا سيما مع الأندلس[32].

6. وهران في ظل الصراع الأموي و الفاطمي:

تداول على حكم وهران – ضمن فضاء جغرافي تاريخي أوسع - عدة دول، إلا أنّ التاريخ يسجّل أن السنة297هـ/ 910 م(33)في السنة381هـ/ 992 م، يضطلع بحكمها خلوف بن أبي بكر – حاكم تيارت، معلنا ولاءه للأمويّين[34].

عرفت زحف بعض القبائل على المدينة؛ كان ذلك بعدما " تمكّنت دعوة الشيعة من بعض قبائل البربر فأوعز إليهم داوس بن صولات اللهيصي عامل « تاهرت » بحصار مدينة وهران، فحاصروها مطالبين يثأر كان بينهم وبين بني مسقن، فامتنع من كان فيها من الأندلسيين (...) و فرّ محمّد بن أبي عون و انضمّ لدواس و هرب بنو مسقن ليلا من وهران ،و تم النصر لأعوان الفاطميين (...) ثمّ حطّموا المدينة و أضرموها نارا [35]"(في ذي الحجة 297هـ/910م) بعد

مرور سبعة أشهر في شعبان 298 هـ/ 911 م – " عاد أهل وهران إليها و جدّدوا بناءها تحت إمارة داوس الذي أمّر عليهم محمد بن أبي عون المتشيّع و عادت المدينة أحسن ما كانت عليه[36].

وكان للصراع بين الأمويين و الفاطميين آثاره على المدينة التي عاشت اضطرابات سياسية كثيرة متكرّرة فهذا زيري بن مناد الصنهاجي يحكمها لصالح الفاطميّين في السنة376هـ/ 987م(37)، ثم يعلن أبو البهار بن زيري بن مناد في العام الموالي ولاءه للأمويّين بالأندلس، ليترك المدينة، بعد ذلك، للفاطميين.

7. انتهاء الغلبة على وهران للمرابطين وبروزها في ميدان التجارة مع الأندلسيين

لما استتبّ الأمر للمرابطين وحّد يوسف بن تاشفين أجزاء كبيرة من الغرب الاسلامي ، ففي سنة473هـ/ 1081م إنتزع المرابطون مدينة وهران من الخزريين المغراويين المتذبذبين بين الأمويّين والفاطميّين، واستثمروها قاعدة بحرية وتجارية. توسّعت المدينة وراجت التجارة بين جدرانها و مع الخارج المتوسّطي والأندلسي بخاصّة[38].

8. أهمية وهران كحلقة وصل بين حواضر المغربين الأدنى و الاوسط عهد الموحّدين وواجهة تجارية مع الغرب المسيحي:

يقول ابن خلدون بعد فشل حاكم المرابطين على وهران بولوقين المتوكل الموهر في المقاومة، قطع عبد المؤمن الماء على المدينة ،وشدّد الحصار عليها ثمّ اقتحمها..." في السنة539هـ/1145م يستولي عبد المؤمن بن علي على مدينة وهران[39] حيث اعتصم آخر ملوك المرابطين تاشفين بن علي[40].

عرفت وهران، من جديد، فترة ازدهار اقتصادي و ثقافي و تحوّل ميناؤها والمرسى الكبير في السنة556هـ/ 1162م إلى ورشتين لصنع السفن التي مكنت من صنع مائة سفينة بفضل العمالة الاندلسية [41]، كما فتح ميناء وهران، خلال هذه الحقبة، للتّجارة الخارجية، و في هذا الباب كتب يحي بوعزيز:" و في عام581هـ/ 1186م أبرم السلطان الموحّدي يعقوب المنصور اتفاقا مع إمارة بيزا* الإيطالية نصّ على فتح موانئ وهران و بجاية و تونس و سبتة لتجارتها

وبضائعها التجارية. فأسّست وهران و باقي المدن المذكورة مكاتب لها لتنظيم العمليات الجمركية.(...) و أخذ التجّار الأوروبيّون يتوافدون على وهران بكثرة لتصريف بضائعهم الأوروبّية و شراء بضائع الصّحراء التي تكثر بها عن طريق قوافل التجارة الصحراويّة، واتّخذوا من وهران محطة و عقدة مواصلات لهم[42].

ويؤكّد فؤاد صوفي في دراسته السّالفة الذّكر هذا البعد الاقتصادي الّذي اضطلعت به مدينة وهران بقوله :

Son histoire se confond Intimement avec celle du Maghreb، de l'Andalousie et de la Méditerranée. Elle s'identifie avec l'histoire du Maghreb central en particulier mais également avec celle du Sahara et de ce qu'on appelait alors le Soudan*(43) .

كانت القوافل تؤمّ وجهة وهران، قادمة إليها من ميناء ليدو[44] مروراً بطرابلس فتونس وبجاية و الجزائر، فشرشال ثم تنس و مستغانم فوهران حيث تتعاطى التبادلات التجارية قبل الرحيل إلى الأندلس ثمّ الرجوع إلى ليدو متبعة المسلك ذاته. نقله عن ليون في أنّ:" البيزيين يقبلون على شراء الجلود و الجنوييو يطلبون نسيج الصوف و البنادقة يشترون المعادن الخام كالحديد و النحاس، أمّا سكّان وهران فيقبلون على شراء أواني الزجاج و الأقمشة الحريرية و الكتانية و الأدوات الحديدية و المنزلية و بعض أنواع العطور و الروائح" "مدينة وهران..."[45]، و قد لاحظنا أن Henri-Léon Fey يقول:" تحت هذه السيطرة الجديدة للزيانيين، تعرف وهران التي اكتسبت تميّزا بفضل وضعيتها – ازدهارا ذا شأن؛ تحوّلت إلى مخزن لتجارة رائجة و ممتدّة الأطراف[46]، يعطي مرمول وألفاريث (Marmol) Y Alvarez في ما رواه شهادة عن هذا.. العاج و جلد النعام و جلود الثيران المدبوغة و مسحوق التبر و الرقيق السود و الحبوب [كلّها] كانت مصدر ثروات للساكنة الذين كانوا بارعين أيضا في الأقمشة

الصوفية والسلاح الأبيض. كان البندقيون و البيزيون و الجينويون و المرسيليون و الكتلنيون يشترون هذه المنتجات بالتنافس ويبيعون، بالمقابل، قطع الكتّان و المصنوعات الزجاجية و أواني حديدية غير متقنة (de la grossière quincaillerie) [47].

9.العلاقة بين مدينة وهران وبلاد الأندلس من القرن الرابع و الخامس و السادس:

1.9 هجرة علماء الاندلس الى مدينة وهران:

تبرز الروابط الثقافية بين الجانبين من خلال رصد أسماء العلماء الذين هاجروا من وهران واستقروا في الضفة الشمالية، أو أولئك الذين غادروا الأندلس في اتجاه مدينة وهران، ورغم قلتهم نظرا لعدم تسجيل المصادر لكل الحالات أو لعدم توفرنا على كثير من المصادر التي أرخت للعلاقات الثقافية بين العدوتين، والتي فقدت عقب الأحداث التي شهدتها المنطقتين في فترات مختلفة من تاريخيهما[48].

ومن خلال تتبعنا لأهم هجرات العلماء في الاتجاهين تبين لنا أن معظم الذين هاجروا من وهران، واستقروا في الأندلس قاموا بذلك خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، و لعل من اسبابها الرقي و النماء العلمي والثقافي الذي عرفته حواضر الأندلس المختلفة إضافة إلى الأوضاع المتردية وانتشار القلاقل و الفتن التي انتشرت في اوساط المجتمع المغربي بسبب الصراع الفاطمي الأموي والصراع القبلي، أما هجرات علماء الأندلس فإنها جاءت بداية من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، وتعود بصورة خاصة إلى النتائج المترتبة عن الفتنة الأندلسية، وعلى رأسها الانقسام والتنافر الذين حدثا بين الأندلسيين الذين استعانوا على بعضهم البعض بالنصارى، ومكنوهم من استرجاع كثير من الأراضي التي كانت بأيدي المسلمين.

يمكن تفسير الهجرة التي قام بها علماء الأندلس إلى مختلف البلاد الإسلامية في المغرب والمشرق إلى تدهور الأوضاع في العدوة الأندلسية، وبخاصة بداية من القرن السادس الهجري بسبب تغلب النصارى على كثير من معاقل المسلمين بداية من مدينة طليطلة التي استولى عليها ألفونسو السادس سنة 487هـ/1085م وقد ساعده على ذلك الانقسام والتنافر الذي مسّ

المسلمين بعد قيام فتنة القرن الخامس الهجري (11م)، والذي تجلى في قيام أكثر من عشرين مملكة أو إمارة متحاربة فيما بينها، ومتحالفة ضد بعضها البعض مع النصارى الذين استغلوا الفرصة من أجل استرجاع ما أمكنهم من أراضي المسلمين[43]، وعلى الرغم من تدخل المرابطين ثم الموحدين وخلفائهم من بني مرين إلا أن عملية الاسترداد ستجعل كثيرا من علماء الأندلس يهاجرون بلادهم، ويستقرون في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية التي فتحت ذراعيها لتحتضن الوافدين من الجزيرة الأندلسية، والباحثين عن الجو الأنسب لممارسة نشاطهم العلمي.

10.الخاتمة

توصلنا من خلال هذه الدراسة الى جملة من النتائج و هي :

-الحاضرة المتوسطية وهران اكتسبت اهميتها من موقعها الاستراتيجي البارز على خليج

- ساهم الاندلسيون في تأسيس المدينة و تعزز دورها اكثر بتعاظم الهجرة الاندلسية في اعقاب حروب الاسترداد

- عرفت المدينة فترات من السلم و الحرب على مر تاريخها العريق

- ازدانت مدينة وهران بمظاهر حضارية ميزتها و افردتها عن باقي الحواضر

-اكتست المدينة أبهة ثقافية فأثرت و تأثرت بما برز فيها من نخبة علماء وهران فرحلوا ونشروا العلم و بما استقبلت من علماء الاندلس بما ولّد التثاقف بمظهره منذ اواخر العهد الموحدي

11.الهوامش

([1])محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تح المهدي البوعبداللي، الجزائر، 1978، ص ص31-33.

([2]) وردت كل هذه الروايات و روايات أخرى على لسان محمد بن يوسف الزياني في كتابه" دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران" الذي حقّقه وقدمه و علّق عليه الشيخ المهدي البوعبدللي. ذكره يحي بوعزيز في "مدينة وهران عبر التاريخ" نشر دار الغرب، وهران، ص 35 ،و كذا محمد بن عبد الكريم التحفة المرضية ،ص 319

([3])على حدّ تعبير محمّد بن عبد الكريم ، التحفة المرضية ،ص 318؛ لأننا نرى في هذا حكما مسبقا جائرا في حق الثعلب الذي يعش على غرار كلّ الحيوانات على الغريزة.

([4]) يحي بوعزيز ،المرجع السابق، ص35 ؛ و يؤكّد الكاتب رجوعه إلى كتاب شاو و عدم وجود هذه الرواية المتعلّقة بالتسمية؛ أمّا Léon Fey ،هذا فيذكره محمّد بن عبد الكريم نقلا عن Henri-Léon Fey في كتابه Histoire d'Oran, avant pendant et après la domination espagnole. Typographie Adolphe Perrier éditeur. Oran. 1858 أمّا G. Séguy فهو صاحب كتاب Oran et l'Algérie.1887 . يذكر د بوعزيز تاريخ النشر 1888 ومكانه وهران و يغفل الناشر.

([5])محمد بن ميمون الجزائري ،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية . تح محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط2 ، 1981، ص309، ص 317.

* هوارة التي يتسب إليها الولي الصالح سيدي الهواري – قبيلة بربرية قطنت في طرابلس الغرب و برقة (تونس) ثمّ حطّت في الصحراء و منها إلى الشمال.

([6])محمد بن ميمون الجزائري ، نفسه،ص318.

([7])محمد بن ميمون الجزائري، المرجع السابق ،ص 318.

([8]) نفسه، ص309

([9]) يحي بوعزيز ، مدينة وهران عبر التاريخ ، ص22.

([10])مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار ، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1986 م،ص133.

([11])يؤكّد فؤاد صوفي أنّ تاريخ وهران يتداخل مع تاريخ المنطقة المغاربية و حتى مع الصحراء و ما كان نسمى آنذاك السودان* م.س. ص 63

(12)ذكره محمّد بن عبد الكريم في التحفة المرضية، المصدر نفسه. ص325.

([13]) ابن حوقل، صورة الارض، ج1،ص77.

([14])مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص133.

(15)الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت 560هـ/1164م)، المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ/1994م،ص49.

([16])قبيلة كانت تستقر بين سهل مليانة شرقا إلى واد تافنة غربا أيام الفتح .

([17])مدينة وهران، بشير مقييس ،ص ص 79-80.

([18])قبيلة بربرية كانت تسكن وهران، وكانت تنتقل بين السهول والهضاب، على مقربة الساحل في الغالب.

([19])ابن حوقل، صورة الارض، ج1،ص78.

([20])أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، ج2،ص 738.

([21])تولى الحكم من سنة 257هـ وتوفي في ربيع الأول سنة 300هـ)

([22])أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ج2ص 739.

([23])ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ص259؛ أبوعبيد الله البكري ، نفسه،ص740؛ محمّد بن خلكان ،وفيات الأعيان،ج4،ص285 ؛ عبد الرحمن بن خلدون ،كتاب العبر،ج6،ص686 ؛التحفة المرضية، ص 321،حينما أراد ابن خلكان التعريف بوهران في سبيل حديثه عن ابن محرز الوهراني عرّفها بمسافتها عن تلمسان

؛وفيات الأعيان ،ج4،ص ص 286/285).

([24]) يحي بوعزيز،المرجع السابق، ص36

([25])إذا زار الإدريسيّ وهران، فقد كان ذلك قبل استيلاء الموحّدين عليها؛650هـ/ 1165م نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب، بيروت، 1409 هـ،ج1،ص 252.

([26])ياقوت الحموي والحميري وليون الإفريقي والمازري

([27]) ابن حوقل، المصدر السابق ،ج1، ص77.

([28])ياقوت الحموي، المصدر لسابق ،487. ؛الحميري،المصدر السابق، ص257 ، ؛ليون الإفريقي، المصدر السابق، ص428، ؛المازري، المصدر السابق،ص189.

([29])نقلا عن ابن حوقل،المسالك ،ص78.

([30]) ابن حوقل المصدر السابق ،ج1، ص77.

([31])يحيل هذا الاسم إلى كثرة الطاحونات التي كانت مبثوثة طوال ضفاف الأنهار في أوروبا، بعد انتعاش الفلاحة في العهد الوسيط. فالماء —مثل الهواء —كان مصدر طاقة محرّكة.

([32])يخبرنا ابن حوقل من جديد في كتاب المسالك و الممالك، "ولوهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح، و ما أظن له مثلا في جميع نواحي البربر — سوى مرسى موسى — فقد كنفته الجبال، و له مدخل أمن، وعليها سور، و ماؤها من خارجها جار عليها في واد عليه بساتين و أجنة كثيرة، فيها من جميع الفواكه، و في حاضرتها دهقنة و حذق، و فيهم حمية عل الغريب،

([33])أورد يحي بوعزيز تاريخ296هـ/ 909 م ، الا ان محمد بن عبد الكريم يستفيض بمعلومات وافية حول هذه الواقعة عكس يحي بوعزيز الذي يختزلها أيّما اختزال

([34]) يحي بوعزيز ،مدينة وهران ، ص 41.

([35])محمد بن عبد الكريم، التحفة المرضية.ص326

([36])محمد أبو راس ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، المكتبة الوطنية ؛ عبد الله البكري المغرب في ذكر بلاد المغرب. – المزري بن عودة طلوع سعد السعود في أخبار وهران و مخزنها الأسود؛ الاستبصار في عجائب الأمصار (موجود في المكتبة الوطنية.

([37])جاء في كرونولوجيا رونيه باسّيه Fastes Chronologiques De La Ville D'oran نقلا عن ابن حوقل ،المسالك ،ص53.

([38])المرجع نفسه. ص 43

([39])يحي بوعزيز نقلا عن ابن خلدون ،كتاب العبر،ج. 6 ،ص ص 189- 281 .

([40])يخبرنا فؤاد صوفي – م.س. ص65 – أنّ ذلك كان في 23 مارس 1145. و في السنتين المواليتين يزحف عبد المؤمن بن علي مراكش عاصمة المرابطين – و التي كان تاشفين قد أرسل إليها ابنه إبراهيم – فيدخلها منتصرا في السنة 1147

([41]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق، ص47

([42])نفسه. ص 49

([43])Fouad Soufi, Oran, une ville dans l'histoire …op. cit. p63

* السودان، و كان يسمّى أيضا السودان الفرنسي – لتميزه عن السودان الإنجليزي في في شرق القارة الافريقية – هو حاليا جمهورية مالي.

([44])تسمّى أيضا Lido de Venise وهي رقعة أرضية تفصل بين البندقية والبحر الأدرياتيكي.

([45]) بوعزيز ،ص 50.

([46])Histoire d'Oran Henri-Léon Fey. 51.

([47])(Marmol) Y Alvarez

([48]) نفسه.